أقصوصتان لتشيكوف

١ – ابتهـــاج

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

ما كادت الساعة تشرف على الثانية عشرة مساء ، حتى دلف ميتيا كلدروف إلى داره ، أشعث الشعر ، منفعل الوجه ، مضطرب النفس . فهرع إليه والداه وكانا على وشك النوم ، وكذلك شقيقته وكانت قد أتت على الصفحة الأخيرة من إحدى القصص . أما إخوته التلاميذ فأغرقوا فى النوم

وصاح والداه فى دهش :

— من أين أقبلت ! ما ذا دهاك ؟ !

— لا تسألانى ... لم أكن أتوقعها ... إنها المستحيل بغير شك ... !

وعجزت ساقاه عن حمله — لما غمره من السعادة — فتهالك على أحد المقاعد ضاحكا مرددا :

— إنها للمستحيل ! ... انظروا ، فأنتم لا تتصورون مبلغ ذلك ! تخفت إليه أخته — وقد أحاطت نفسها بدثار — واستيقظ الأطفال على صدى هذه الضجة .

— ما الذى حدث ؟ إنك تبدو فى غير طبيعتك !

— ذلك لأنى لا أكاد أتمالك نفسى من الابتهاج ، ألا تعلمين أن روسيا بأجمها تعرفنى الآن ؟ تعرف ذلك الكاتب المسجل دمترى كلدروف ؟

وعاد ميتيا يهرول فى غرف المنزل من جديد ، ثم لم يلبث أن أدركه الكلل والعناء فتهالك على المقعد ثانية ، وشك الجميع فى أنه قد أصيب بلوثة فى عقله ، فصاح ميتيا فى سخرية :

— أنتم تعيشون هنا كالوحوش ، لا تدركون مايدورحولكم لأنكم لا تعيرون اهتماماً ما ينشر فى الصحف من الأخبار الهامة ، إن الصحف تذيع ما يطرأ من الحوادث الخطيرة ، فلا تبقى خافية على الناس ... يا إلهى ، كم أنا سعيد ... ألا تدرون ؟ لقد نشرت الصحف اسمى كما تنشر أسماء العظماء المشهورين !

فهرع الأخوة نحو أخيهم وقال الوالد وقد علا وجهه شىء من الشحوب :

— ما ذا تعنى ؟ أين ذلك ؟

— ما ذا أعنى ! لقد نُشر اسمى فى الصحف وعرفتنى الآن روسيا بأجمها ... انظروا ...

وجذب ميتيا من جيبه نسخة من إحدى الصحف وناولها والده وأومأ إلى فقرة تحتها علامة زرقاء واضحة

— هلا قرأتها ؟

فثبت الأب نظارته أمام عينيه ، أما الأم ، ففغرت فمها وقد ارتسم عليه شىء من البله ، وراحت تتمتم فى صوت خفيض ، وارتفع بعد هنيهة صوت الوالد وهو يتلو الفقرة :

« فى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٩ ديسمبر ، بينما كان كاتب مسجل يدعى دمترى كلدروف ... »

فقاطع ميتيا والده قائلا :

— أتممتم ؟ استمر

« .. بينما كان كاتب مسجل يدعى دمترى كلدروف يغادر إحدى حانات الخمر فى حى « كوزهين » بمقاطعة « بورونيا » وهو فى حالة سكر »

— إنه أنا يا والدى ، وكان معى سيمون نتروفتش ، إنهم يصفون الحادث أروع وصف ... انصتوا ... استمر

« فى حالة سكر ، تعثر وهوى تحت حصان عربة للثلج ، يقودها رجل ريفى يدعى « إيفان دروتوف » من قرية « دريكينو » باقليم « يونفسكى » ، فهاج الحصان ووطىء كلدروف ، ومرت العربة فوقه وانقلبت بالقرب من تاجر من موسكو يعرف « بستيبان لكوف » ، فتحطم ما كان بها من الثلج على قارعة الطريق ، واستطاع نفر من الناس أن يقبضوا على زمام الحصان الجامح ، وحمل كلدروف فى غيبوبته إلى مركز الشرطة حيث فحصه الطبيب

٢ – فى المقـــبرة . . .

بقلم الأديب فيصل عبد الله

« الريح شرعت تهب ، والكون قد غشيه الظلام ، أفما آن أن نعود إلى بيوتنا ؟ »

لقد هبت الريح تعصف بأوراق الشجر الصفراء ، وانثال علينا من السماء هاطل من البرد ، فانزلق قدم أحدنا وكاد أن يهوى على الأرض الموحلة لولا أن تدارك نفسه فأهوى بيده على صليب أغبر كبير كى يتقى به السقوط ، ثم راح بعد ذلك يقرأ ما كتب عليه:

« إيغورغوريازنورو كوف المشاور الخاص والفارس» .. إننى لأعرف هذا الرجل ، كان كلفاً بزوجه ويتقلد وسام ستانسلاف ولا يزعج نفسه بقراءة شيء ، أما ذوقه فكان جميلا ، إنها لحياة لا يأسى امرؤ على أنه حيها ، ولطالما جال فى خاطر الناس أن لم تكن بمثل هذا حاجة إلى أن يموت . ولكن للأسف ، فإن حادثاً أليماً كان فى انتظاره ، فلقد خر المسكين صريع حبه للمعرفة ، إذ بينا كان ذات يوم يختلس النظر من خصاص باب إذ صدم الباب رأسه بعنف فأفقده الوعى ثم ... مات . تحت هذا الصليب يرقد

- وكانت الإصابة التى أصابته فى مؤخر رأسه ... »

وعاد ميتيا يقاطع والده :

— لقد كانت من نوتاً فى العربة ... أتم الباقى ...

« ... التى أصابته فى مؤخر رأسه لم تكن بالخطيرة ، وقد كتب تقرير عن الحادث ، وأسعف الجريح بالمساعدة الطبية اللازمة»

وأخبرونى أنه يجب أن ينظف موضع الإصابة بالماء البارد ... أصدقتم الآن ؟ إن روسيا جلها تعرفنى ، أنا ديمترى كلدروف ناولنيها يا أبتاه!

والتقط ميتيا الصحيفة من والده وطواها ، ودسها فى جيبه ، وراح يقول :

— سأنطلق الآن إلى أصحابى ومعارفى لأنبئهم بأن ديمترى كلدروف قد ذاع صيته فى روسيا... نعم سأريهم الصحيفة . وداعاً

وارتدى ديمترى قبعته الحمراء ... وهرول إلى الطريق وملء جوانحه الزهو والابتهاج ...

مصطفى جميل مرسى

إنسان أبغض الشعر منذ المهد ، وكأنهم يسخرون منه إذ ملأوا النصب كله بالشعر ... ها قد أقبل بعض الناس ! »

أقبل نحونا رجل بمعطف بال ووجه شاحب حليق ، يتأبط قنينة من الفودكا ، وقد برزت من جيبه رزمة من شرائح لحم مقدد ، ثم سألنا بصوت أجش « أين قبر موشكين الممثل ؟ ! » فقدناه إليه ، وكان موشكين هذا قد مات منذ عامين ، ثم سألناه : « أأنت موظف حكومى ؟ » فأجابنا : « كلا إنما أنا ممثل ، إن المرء لا يستطيع فى هذه الأيام أن يميز ممثلا من موظف حكومى ، واعلموا لاحظتم ذلك . إنه لشيء عجيب وإن لم يكن فيه ثمة حط من قدر الموظفين »

لقد كان عسيراً أن يجد المرء قبر موشكين ، فلقد علته أعشاب فتبدى مما كسبه أبعد ما يكون عن المقابر . كان عليه صليب رخيص صغير وماثل ، نما عليه الطحلب وعلق به الثلج ، فلاح قاتماً عتيقاً كتب عليه « الصديق النسى موشكين » ، ولقد أزال الزمن حرفين من النصب وأصلح ضجعة الرجل . ولقد تنهد الممثل وجثا حتى مست ركبتاه الأرض الموحلة ، ثم قال : «لقد اكتئب الممثلون والصحفيون بمال ليقيموا به نصباً له ، ثم شربوه ، يالهم من صبية أبرار! »

— وماذا تقصد بقولك « شربوه » ؟

— ذلك جد بسيط ، لقد جمعوا المال ، وخطوا على الورق القوائم ، ثم شربوا المال . إننى لا أقول ذلك لألحوهم على ما فعلوا ولكنه الواقع. نخب صحتكم يا سادتى ، نخب صحتكم ونخب ذكراه الخالدة . ليس ثمة صحة تنال من الأفراط فى الخمر ، والذاكرة الحافظة الداثمة أمر مؤلم ... ألا فلترجو من الله ذاكرة لا تعيش فيها الأحداث والرؤى ، أما الذاكرة الواعية ...

— حسناً ... إن هذا لهو الحق ، لقد كان موشكين رجلا يعرفه الكل ، ولكنه الآن منسى ، نسيه أولئك الذين أحبوه ، ويذكره أولئك الذين مسهم منه الضر والأذى ويخشهم أقدارهم أما أنا فلن أنساه ، كلا ، لن أنساه ، فلم يصبنى منه غير الضر والخسران ، ولست أحبه

ثم زفر الممثل فسألناه : وأى أذى نالك منه ؟ فبان على وجهه ما كان يكابد من جراح فى قلبه وقال : « إنه لأذى بليغ ، لقد كان خبيثاً وسارقاً ، ألا فلتسكن روحه ولتهدأ... لقد صرت